الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

يقول الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتابه التوحيد الذي هو حق الله على العبيد :

بابٌ تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ} [الإسراء:٥٧] .

****

هذه الترجمة ((**بابٌ تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله**)) ترجمة جاءت بعد مقدمات مهماتٍ عظيمات بدأ المصنف رحمه الله تعالى بها كتابه التوحيد ؛ حيث مر معنا بيان مكانة التوحيد العظيمة ومنزلته العلية ، وبيان فضائل التوحيد وتكفيره للذنوب ، وأيضاً تحقيق التوحيد وتتميمه بتنقيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي ، ثم التحذير من ضده وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى ، ثم الدعوة إلى توحيد الله عز وجل ؛ فبعد هذه المقدمات شرع رحمه الله تعالى في شرح التوحيد وبيانه بدءً من هذه الترجمة وما بعدها ، فهذه الترجمة وما بعدها من تراجم كلها في شرح التوحيد وبيانه وتفسيره ، بيَّنه في هذه الترجمة بذكر بعض الآيات المفسِّرة لمعناه والمبيِّنة لمدلوله ثم أشار في تمام هذه الترجمة أن ما بعدها من أبواب إلى نهاية الكتاب كلها تفسيرٌ للتوحيد وبيانٌ له .

والتفسير تارةً يكون بإيضاح المعنى وبيان المدلول ، وتارةً يكون بذكر الضد ، لأن الأشياء تتميز بذكر أضدادها . فيُفسَّر التوحيد ببيان معناه ومدلوله وما يندرج تحته ، وكذلكم يفسَّر التوحيد بذكر نواقضه والقوادح فيه تحذيراً منها وبيانا لخطورتها وعظم ضررها .

وقول المؤلف رحمه الله تعالى في هذه الترجمة «**تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله**» ؛ التفسير : هو الإيضاح والبيان والكشف .

«**تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله**»؛ عطَف شهادة أن لا إله إلا الله على التوحيد ومعلوم أن التوحيد هو مدلولها ؛ فما نوع هذا العطف ؟ العطف هنا عطف الدال على المدلول ، التوحيد هو المدلول، ولا إله إلا الله هي الدالة عليه وهي كلمته ، ولا توحيد إلا بها ، ولا يكون العبد من أهل التوحيد إلا بتحقيق «لا إله إلا الله» وتحقيق ما دلت عليه من البراءة من العبودية لكل معبود سوى الله وإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ذلاً وخضوعاً ورغَباً

ورهباً ورجاءً وطمعا ، فلا يُدعى إلا الله ولا يُسأل إلا الله ولا يستغاث إلا بالله ولا يصرف شيء من العبادة إلا لله تبارك وتعالى .

الترجمة كما عرفنا في تفسير التوحيد ، وما تحتها آيات وحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهذه طريقة عظيمة جداً وبديعة في البيان ، فكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» يقول المصنف رحمه الله تعالى في تفسيره لها: يكفيك في تفسير هذه الكلمة أن تقرأ آيات من القرآن وأحاديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام توضح لك «لا إله إلا الله» ، لست بحاجة إلى تلك التكلفات التي ابتُليت بها كثير من الكتب التي جنحت في تفسيرها لـ«لا إله إلا الله» مجنحاً بعيداً وأخذت تفسرها بتفسيرات قاصرة أو تفسيرات خاطئة . فالشيخ رحمه الله عقد الترجمة في تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله واكتفى في هذا التفسير بقراءة آيات من القرآن وحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والقرآن يفسِّر بعضه بعضا ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا جاءت مفسرة للقرآن، فـ«لا إله إلا الله» كلمة عظيمة تكرر ورودها في القرآن وأيضاً تكررت الآيات الكثيرة في القرآن المفسِّرة لها، وأيضا تكررت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه الكلمة وبيان معناها .

أول آية أوردها رحمه الله تحت هذه الترجمة : قول الله سبحانه ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ . هذه الآية المفسرة لـ«لا إله إلا الله» وأيضاً يُحتاج في هذا المقام إلى الآية التي قبلها وهي قوله سبحانه :﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء:٥٦] .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ ؛ قوله «مِنْ دُونِهِ» يتناول كل مدعو ملتجأ إليه من دون الله سبحانه وتعالى أياً كان «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا» لا يملكون كشفه بالكلية وإزالته ، ولا يملكون أيضاً نقله من مكان إلى آخر ، ليس بأيديهم شيء من ذلك ، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا دفعاً ولا عطاءً ولا منعاً ولا حياةً ولا موتاً ولا نشورا فضلا أن يملكوا شيئا من ذلك لغيرهم .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ ﴾ ؛ الإشارة هنا إلى الذين يُدْعَوْنَ من دون الله . وخصَّ السياق من كان منهم ليس راضٍ بذلك بل هو عبْدٌ لله مخلصٌ دينه لله قال : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ ؛ «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» أي الذين يدعوهم المشركون ويستغيثون بهم ويلتجئون إليهم ويصرفون إليهم أنواع العبادات «يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» حالهم أنهم

عبيد لله ، فقراء إلى الله ، مخلصون دينهم لله ، ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي يتسابقون ويتنافسون في التقرب إلى الله وطلب رضاه سبحانه وتعالى .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ أي الذين يدعوهم المشركون من دون الله ﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي هم فقراء إلى الله ؛ كيف يُدعى الفقير المحتاج الملتجئ إلى الله ولا يلتجئ إلى الغني الحميد المجيد الذي بيده كل شيء سبحانه وتعالى !! . من اللطائف العجيبة : رجل قصد ذا سلطان وقيل له إنه معروف بالسخاء والعطاء وكان ذا حاجة ، فصادف عندما جاء إلى مكانه أنَّ ذلك السلطان مادٌّ يديه يدعو الله سبحانه وتعالى ، فقال لنفسه : أسأل فقيراً مثلي !! وتوقف عن سؤاله وأخذ يسأل الله سبحانه وتعالى .

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ ﴾ أي من يعبدهم المشركون ويستغيثون بهم ويسألونهم من أنبياء أو ملائكة أو أولياء الحال أنهم عباد لله يعبدون الله ويخلِصون دينهم لله سبحانه وتعالى .

﴿ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ أي كلهم يتنافس في نيل القرب والفوز بالرضا .

﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ يرجون رحمة الله ويخافون عذاب الله ، جمعوا بين الرجاء والخوف ، هم في عبادتهم لله بين رجاء وخوف؛ وهذه حال الفقير ، حال الملتجئ بين رجاء وخوف ؛ رجاءٍ أن تقبل طاعته وأن تُستجاب دعوته وأن يُعطى حاجته وسؤله ، وخوفٍ أن لا يُقبل عمله وأن تُرد حاجته ولا يقبل عمله ، فهو بين رجاء وخوف يرجو رحمة ربه ويخاف عذابه .

فإذاً هذه الآية مفسرة لشهادة أن لا إله إلا الله ومبينة لمعناها من حيث أنَّ من يُدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء والأولياء وأيضاً الصالحين من الجن من يدعو هؤلاء من دون الله يدعو من هو محتاج إلى الله وفقير إلى الله لا يملك لنفسه فضلاً أن يملك لغيره ﴿ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ لا يملكون ذلك لا لأنفسهم ولا لغيرهم ؛ فتبين بذلك أن المفزع هو التوحيد والنجاة في التوحيد، بأن يخلص الإنسان دينه لله ، فلا يلجأ إلا إلى الله ولا يتوكل إلا على الله ولا يفر إلا إلى الله ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ﴾ [الذاريات:٥٠] ولا يطلب حاجته إلا من الله ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢].

فإذاً هذه الآية آية عظيمة جداً في بيان التوحيد ونقض ضده وهو الشرك من حيث أنَّ كل من يُدعى مهما كانت مكانته وعلت منزلته لا يملك شيئاً والأمر كله بيد الله ، فلا يدعى إلا الله ، ولا يلتجأ إلا إلى الله ، ولا تُصرف العبادة إلا لله وحده .

وقوله : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} [الزخرف:٢٦- ٢٧] .

****

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ؛ الكلمة التي جعلها خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام باقيةً في عقبه هي كلمة «لا إله إلا الله» ، وذُكرت هنا في الآية بمعناها في قوله ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ هذا هو معنى «لا إله إلا الله» .

فالآية مفسِّرة لـ «لا إله إلا الله» لأنه قال : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً ﴾ بإجماع أهل العلم أن الكلمة التي جعلها إبراهيم الخليل باقية في عقبه هي لا إله إلا الله وذُكرت هنا بمعناها ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ . فإذا قيل ما معنى لا إله إلا الله ؟ وأجاب من سُئل في ضوء هذه الآية قائلاً : أي البراءة من كل من يُعبد من دون الله وإخلاص العبادة لله عز وجل وحده وإفراده بها وحده سبحانه وتعالى ؛ لكان هذا هو المعنى المستفاد من هذه الآية الكريمة . ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ؛ لا توحيد إلا بالبراء ، أن يبرأ من كل ما يُعبد من دون الله ، لأن العبادة حق لله، فلا يكون موحداً إلا بالكفر والبراءة من كل من يُعبد من دون الله . العبادة حقٌ لله لا يجوز صرف شيء منها لكائن من كان ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ ومن جملة ما يعبده قومه الله سبحانه وتعالى ؛ قال ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ فإني أخلص ديني له وأفرده وحده بالعبادة .

﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ أي إلى دينه ، والهداية بيده سبحانه وتعالى وحده ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة:١٤٢] .

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ؛ وقوله ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فيه أن «لا إله إلا الله» عصمةٌ لمن اعتصم بها وملجأ ومفزع ونجاة للعبد في دنياه وأخراه ، فما دام العبد مع «لا إله إلا الله» وقَّافاً عندها رجَّاعاً إليها محافظاً عليها كانت بذلك نجاته وفلاحه وسعادته في دنياه وأخراه .

وقوله : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } الآية [التوبة:٣١] .

****

وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ؛ هذه الآية أيضاً عظيمة في تفسير «لا إله إلا الله» وبيان مدلولها .

قال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴾ أحبارهم : أي علماءهم ، ورهبانهم : أي عبَّادهم .

﴿ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ؛ ما معنى أربابا من دون الله ؟ هل المعنى أنهم كانوا يصلُّون مثلاً لهم ويدعونهم ويستغيثون بهم ؟ هل هذا الذي كان يقع من هؤلاء الذين ذكر الله عنهم هذه الحال اتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ؟ عدي ابن حاتم وكان من متنصِّرة العرب – مَن دخلوا في النصرانية – لما سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ هذه الآية قال : «يا رسول الله لسنا نعبدهم» ظن أن العبادة : السجود والركوع والدعاء ونحو ذلك قال «لسنا نعبدهم» ، قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((أليسو يحلون الحرام فتحلونه ؟ ويحرمون الحلال فتحرمونه؟)) قال : «بلى» ، قال : ((تلك عبادتهم)) . فهذا تفسير للتوحيد وبيان لمدلوله ؛ فمن اتخذ غير الله يطيعه في تحليله ما حرَّم الله وتحريمه ما أحل الله فقد اتخذه نداً لله سبحانه وتعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾[الشورى:٢١] ؛ اتخذه نداً وشريكاً ، ولهذا لما قال «لسنا نعبدهم» قال : ((أليسو يحلون الحرام فتحلونه ويحرمون الحلال فتحرمونه ؟ قال بلى ، قال : ((تلك عبادتهم)) .

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ أي : واتخذوه كذلك معبوداً من دون الله؛ والحال أنهم لم يؤمروا إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ؛ لم يؤمروا إلا بالتوحيد ، لم يؤمروا إلا بعبادة الله وحده وإخلاص الدين له سبحانه وتعالى ، فلم يعملوا بذلك واتخذوا الأنداد والشركاء ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

سمى الله عز وجل في هذه الآية طاعتهم للأحبار والرهبان فيما يحلونه من الحرام وما يحرمونه من الحلال عبادةً لأنه قال في السياق ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ ، وسمى ذلك اتخاذاً لهؤلاء أربابا من دون الله ؛ فإذاً «لا إله إلا الله» التي ذُكرت في هذه الآية تفسيرها : أن يطاع الله سبحانه وتعالى وأن تكون الطاعة لله عز وجل ، فمن اتخذ غير الله يطيعه في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل فقد اتخذه نداً وشريكاً مع الله سبحانه وتعالى .

وقوله : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} [البقرة:١٦٥] .

****

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) ﴾ .

قال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ «ومن الناس» المراد بهم : المشركون الذين سوَّوا غير الله بالله في حقوقه وخصائصه سبحانه وتعالى .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أنداداً : أي نظراء وشركاء .

﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ أي: يحبونهم كما يحبون الله ؛ وهذا فيه من الدلالة أنَّ المشركون يحبون الله حباً عظيما ، الآية تدل على ذلك أن المشركين يحبون الله حباً عظيما ، وهذا واضح في قوله ﴿ يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ، فهم يحبون أصنامهم كما يحبون الله . فإذاً هم يحبون الله حباً عظيما وفي الوقت نفسه يحبون أصنامهم كما يحبون الله ، إذاً هم سوَّوا بين الله وبين الأصنام في المحبة . محبتهم العظيمة لله التي قامت في قلوبهم هل تنفعهم عند الله ؟ لا تنفعهم ؛ لماذا ؟ لأنها عبودية ولم يجعلوها لله خالصة بل أشركوا مع الله غيره فيها ، لم يجعلوها لله تبارك وتعالى خالصة بل أشركوا الأصنام مع الله في تلك المحبة؛ فسووا غير الله بالله في المحبة ؛ فلم تكن تلك المحبة نافعةً لهم ولا منجيةً لهم من عذاب الله تبارك وتعالى ، ولهذا يقولون يوم القيامة إذا دخلوا نار جهنم : ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨] أي نجعل لكم حظاً مساوياً لله سبحانه وتعالى في العبادة . فسوَّوا بين الله وبين الأصنام في المحبة ويوم القيامة يندمون ندامةً لا تنفعهم.

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ أي أشد حباً لله من حب المشركين لله ؛ لماذا ؟ لأن حب المؤمنين لله حبٌ خالص ، وحب المشركين لله حب أشركوا فيه مع الله غيره فلم يكن خالصاً . فالمؤمن ينفعه حبه لله سبحانه وتعالى النفع العظيم ، وذاك لا ينفعه حبه لله لأنه لم يخلصه لله تبارك وتعالى فلا يكون نافعا له .

والمراد بالحب هنا : الحب الذي هو حب العبودية الذي يورث الذل والخضوع والطاعة العبادة ، ولهذا لما أحب أولئك أصنامهم كحب الله عبدوهم مع الله ودعَوهم والتجئوا إليهم وذبحوا لهم ونذروا لهم وقدَّموا لهم القرابين والنذور، لما قام في قلوبهم حب العبودية للأصنام عبدوا الأصنام مع الله سبحانه وتعالى ؛ وهذا يبين لنا أن الحب روح العبودية ولبُّها وأساسها ، وأنه كلما قوي هذا الحب قويت العبودية .

قال: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ثم بُيِّن في السياق المآل الذي يؤول إليه هؤلاء الذين سوَّوا غير الله بالله في المحبة وفي تمامه قال: ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ أي أنهم يخلَّدون في النار أبد الآباد ، مع أنهم كانوا في الدنيا يحبون الله !! وكانوا في الدنيا يعبدون الله !! نعم كانوا في الدنيا يحبون الله وكانوا في الدنيا يعبدون الله لكن ما هي مشكلتهم ؟ وما هي مصيبتهم ؟ أنهم سووا مع الله في المحبة وترتب على ذلكم أيضا تسوية غير الله بالله في أنواع العبودية؛ فكانت العقوبة دخول النار والخلود فيها أبد الآباد ﴿ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ أي يُخلَّدون فيها أبد الآباد كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ(٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧] .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل)) .

****

بعد أن أورد رحمه الله تعالى الأربع الآيات المتقدمات في تفسير التوحيد ختم هذه الترجمة بهذا الحديث عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام أنه قال : «**من قال لا إله إلا الله ، وكفر بما يعبد من دون الله ؛ حرُم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل**» .

((**من قال لا إله إلا الله**)) عطَف عليها ليتحقق نفعها ولتكون نافعة لقائلها ((**وكفر بما يُعبد من دون الله**)) ثم رتب على ذلك الثمرة والأثر ؛ مما يفيد أنَّ عدم الإتيان بهذا القيد الذي هو الكفر بما يعبد من دون الله يجعل لا إله إلا الله ليست نافعة لصاحبها ، إن قالها ولم يكفر بما يُعبد من دون الله لا تنفعه ، بل إنه لا يكون من أهلها حتى يكفر بما يُعبد من دون الله . لا يكون من أهلها ولا يكون من المستمسكين بها إلا إذا كفر بما يعبد من دون الله .

وتأمل هذا المعنى الوارد في هذا الحديث في الآية التي تلي آية الكرسي ، وآية الكرسي صُدِّرت بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ، ثم أُتبعت في الآية نفسها ببراهين التوحيد ودلائله وذُكر فيها أنواع عديدة لبراهين التوحيد ، ثم قال الله عز وجل في الآية التي تليها: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطَّاغُوتِ﴾ [البقرة:٢٥٦] هذا مثل قوله هنا ((**وكفر بما يعبد من دون الله**)) مثله تماماً ، ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ أي : يكفر بما يُعبد من دون الله . الطاغوت : هو كل من عُبد من دون الله سبحانه وتعالى .

قال: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ أي استمسك بلا إله إلا الله . إذاً لا يكون مستمسكاً بالعروة الوثقى إلا بهذا القيد ؛ الكفر بما يعبد من دون الله، الذي هو الكفر بالطاغوت .

قال: ((**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله**)) ؛ إذاً هذا فيه تفسير للا إله إلا الله ، وأن «لا إله إلا الله» لا تنفع قائلها بمجرد النطق فقط –حتى لو قالها آلاف المرات – حتى يكفر بما يعبد من دون الله .

في ضوء هذا الحديث والآية التي أشرت إليها لو أن إنساناً قال «لا إله إلا الله» آلاف المرات لكنه لم يكفر بالطاغوت أو لم يكفر بما يُعبد من دون الله أيكون من أهلها ؟ أيكون من المستمسكين بها ؟ أيكون من الفائزين بثوابها ؟ لا والله ، لأنها في النصوص قُيِّدت بهذا القيد .

إذاً «لا إله إلا الله» من تفسيرها ومدلولها: الكفر بما يُعبد من دون الله؛ بحيث يتبرأ منه ويتبرأ من عابديه ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة:٤] .

قال: ((**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله**)) أي أنَّ لنا في هذا الظاهر والله عز وجل يتولى السرائر ، حسابه على الله ؛ إذا كان قلبه ينطوي على شيء آخر أو أمر آخر فهذا أمره إلى الله وحسابه على الله ، لكن التوحيد الذي تكون به عصمة الدم والمال هو لا إله إلا الله مع الكفر بما يُعبد من دون الله . لكن لو قال : "أنا أقول لا إله إلا الله لكن لا أكفر بما يُعبد من دون الله ولا أتبرأ من الطاغوت"؛ لا يكون بذلك من أهل لا إله إلا الله .

فإذاً هذا الحديث العظيم حديثٌ مفسر لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» .

قال رحمه الله :

وشرح هذه الترجمة : ما بعدها من الأبواب .

****

((**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب**)) ولهذا سيعيد بعض الآيات التي أوردها في هذه الترجمة في أبواب مستقلة ، سيأتي لاحقا بابٌ مستقل عن قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ، وسيأتي أيضاً بابٌ مستقل عن طاعة الأحبار والرهبان من دون الله وسيعيد الآية هناك رحمه الله تعالى ؛ فالأبواب الآتية إلى تمام الكتاب كلها تفسير لهذه الترجمة .

إذاً الشيخ رحمه الله سيشرح الآن في الأبواب الآتية التوحيد من خلال تبويبات يسوق تحتها آيات من القرآن الكريم وأحاديث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه كلها تشرح التوحيد وتوضح مدلوله توضيحا تفصيلياً في ضوء الآيات والأحاديث .

مما أنبه عليه مما يتعلق بهذه الترجمة ((تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)) وهو تنبيهٌ أرى أنه في غاية الأهمية ألا وهو : ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أنه قال : كان النبي عليه الصلاة والسلام يهلل دبر كل صلاة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» ، وجاء في بعض الروايات في صحيح مسلم أن عبد الله بن الزبير قال ذلك في خطبة على المنبر ، ينبِّه الناس في خطبة على المنبر على هذا التهليلات العظيمة وأهمية العناية بها . هذه التهليلات يردِّدها كل مسلم أدبار الصلوات كما كان نبينا عليه الصلاة والسلام يرددها دبر كل صلاة .

وإذا تأملت في هذا الحديث تجد أن كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تكررت ثلاث مرات وأُتبعت في كل مرة بما يفسِّرها ويبين معناها ويؤكد حقيقتها ومدلولها ، وهذا التكرار من المسلم لـ«لا إله إلا الله» بهذه المؤكدات وهذه التفسيرات والتوضيحات كله ترسيخٌ للتوحيد وتثبيتٌ لمعناه وتقويةٌ له وتمكينٌ له وتوسيعٌ لمساحته في القلب ، وهذا لا يتحقق إلا لمن يتأمل في مدلولات الأذكار الشرعية ومعانيها ، أما من كان يقرأها قراءةً دون فهم للمعنى لا يكون لها الأثر البالغ عليه ولا تتحقق الفائدة المرجوة من هذه الأذكار .

في المرة الأولى قال : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ، أتبع في المرة الأولى كلمة التوحيد لا إله إلا الله بقوله ((وحده لا شريك له)) لأن «لا إله إلا الله» قائمة على نفي وإثبات وهما ركنا التوحيد ، فأتبع ذلك بقوله ((وحده لا شريك له)) تأكيداً للنفي وتأكيداً للإثبات ، ((وحده)) تأكيد للإثبات ، ((ولا شريك له)) تأكيد للنفي ؛ وهذا اهتمام بمقام التوحيد . وقوله ((لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) هذه براهين للتوحيد .

التهليلة الثانية قال : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ» ؛ ولا نعبد إلا إياه هذا هو معنى لا إله إلا الله . معنى «لا إله إلا الله» : أن لا نعبد إلا الله ، وتأمل ما مر معنا قريبا ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ، فقوله «ولا نعبد إلا إياه» هذا تفسيرٌ لها ، عُطِف عليها تفسيرها ، نظير صنيع المصنف في الترجمة ((تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله)) . قال ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ)) هذه كلها براهين التوحيد .

التهليلة الثالثة قال : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» وهذا أيضا معنى لا إله إلا الله : إخلاص الدين لله كما قال الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥] ، كما قال جل وعلا: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] ، وفي الحديث ((من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه)) . قال ((مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) .

فإذاً هذه التهليلات الثلاث فيها تفسيرٌ للتوحيد وبيانٌ لمعناه وتأكيدٌ لمدلوله .

في ضوء هذا التهليل الذي يردده كل مسلم دبر كل صلاة نريد أن نستخلص من التهليلات الثلاث تعريفاً جامعاً لكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فماذا نقول ؟ ما معناها ؟ وتأملوا جميعاً لنصغ عبارة نفسر فيها «لا إله إلا الله» من التهليلات الثلاث ، عندنا ((وحده لا شريك له)) في التهليلة الأولى ، و((لا نعبد إلا إياه)) في التهليلة الثانية، و((مخلصين له الدين)) في التهليلة الثالثة ؛ نريد جملةً تحوي هذه الثلاث ؟

لا إله إلا الله معناها : أن لا نعبد إلا الله ، وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ؛ هذا معناها . معنى مستخلص من هذا التهليل الذي يردده كل مسلم ، وهذا على الطريقة التي سلكها الإمام المجدد رحمه الله في هذا الكتاب وهي طريقة أئمة العلم في تفسير هذه الكلمة بالقرآن والسنة ، فهذه تهليلات مباركة عظيمة كل مسلم يحفظها ويرددها دبر كل صلاة ، وهي تشتمل على تفسير وتوضيح وبيان لمعنى لا إله إلا الله . إذاً معنى لا إله إلا الله : أن لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين .

قال رحمه الله تعالى :

فيه مسائل ؛ الأولى وهي من أهمها ؛ وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبيَّنها بأمور واضحة ، منها : آية الإسراء بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

****

يقول رحمه الله تعالى كما هي طريقته في كل الأبواب : «فيه مسائل» وأكبر هذه المسائل وأهمها هي تفسير التوحيد وتفسير الشهادة لا إله إلا الله . وعرفنا طريقته رحمه الله أنه فسَّر التوحيد وفسر لا إله إلا الله بآيات من القرآن وهي أربع آيات ، وبحديث من سنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام ، وهذا مثل ما وصف رحمه الله أنها بُيِّنت بأمور واضحة ؛ منها آية الإسراء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فهذه الآية فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ؛ ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأن هؤلاء الذين يدعونهم من أنبياء أو ملائكة أو أولياء أو غيرهم من صالحي الجن كل هؤلاء يدْعُون الله ويخلِصون دينهم لله ، فمن دعاهم وصرف لهم شيئا من العبادة فقد وقع في الشرك الأكبر الناقل من ملة الإسلام .

ومنها : آية براءة بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله ، وبين أنهم لم يُؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدا ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعبَّاد في المعصية، لا دعاؤهم إياهم .

****

«ومنها» أي الآيات المفسرة للا إله إلا الله والمبينة معناها آية براءة ؛ بيَّن سبحانه وتعالى فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وبيَّن أيضاً أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه – يعني تفسير قوله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الذي لا إشكال فيه – هو طاعتهم للعلماء والعبَّاد في المعصية لا دعاؤهم إياهم ؛ من أين أخذنا ذلك ؟ من قصة عدي لما قال للنبي عليه الصلاة والسلام : «يا رسول الله لسنا نعبدهم»، لأنه ظن أن العبادة منحصرة في الدعاء والركوع والسجود ، قال «لسنا نعبدهم» ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : ((أليسو يحلون الحرام فتحلونه ؟ ويحرمون الحلال فتحلونه ؟)) قال بلى قال : ((فتلك عبادتهم)) .

ومنها : قول الخليل عليه السلام للكفار : {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} الآية ، فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} .

****

«ومنها» أي الآيات المفسرة للا إله إلا الله «قول الخليل عليه السلام للكفار المشركين : ﴿ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآية ، فاستثنى عليه السلام من المعبودين ربه» ؛ أولئك كانوا يعبدون الله ويعبدون الأصنام والأوثان ، فلما تبرأ من معبوداتهم استثنى ربه قال: ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ . إذاً كانوا يعبدون الله لكن عبادتهم له باطلة؛ لأنهم سوَّوا غير الله بالله فيها وجعلوا مع الله سبحانه وتعالى الشركاء . فالتوحيد إنما هو بالبراءة من كل ما يُعبد من دون الله وإخلاص الدين لله ، أما من يعبد الله ويحب الله ويدعو الله ويستغيث بالله

ويصلي لله ويصوم لله لكنه يتخذ مع الله شركاء في دعاءٍ أو عبادةٍ أو ذبحٍ لا يقبل الله منه كل عبادته ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦] .

قال : «وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾» وبالإجماع أن الكلمة لا إله إلا الله .

ومنها : آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم : {وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} ؛ ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيما ولم يُدخلهم في الإسلام ، فكيف بمن أحب الند حباً أكبر من حب الله ؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟

****

«ومنها» أي الآيات التي تفسر التوحيد وتفسر كلمة التوحيد لا إله إلا الله «آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾» في آخر السياق كما مر معنا ؛ أي أنهم مخلدون فيها أبد الآباد لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها . هؤلاء الذين أخبر الله أنهم يخلَّدون في النار وأنهم لا يخرجون من النار ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ كانوا في الحياة الدنيا يحبون الله حباً عظيما ، وكانوا يحجون ويدعون ويقدِّمون القرابين والنذور لله لكن في الوقت نفسه يقدِّمون هذه الأشياء لغيره كما قال الله عنهم ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ .

يقول الشيخ : «**ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيما**» لكن حبهم هذا هل نفعهم ؟ هل يخرجهم يوم القيامة من النار ؟ الله قال ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يخلَّدون فيها أبد الآباد مع أنهم كانوا يحبون الله لكنهم لا يخرجون من النار يخلَّدون فيها أبد الآباد لماذا ؟ لأنهم سووا مع الله غيره ، ولهذا يندمون في النار ويعلنون الندامة ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

قال : «**ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيما ولم يدخلهم في الإسلام**» ولم يدخلهم أي هذا الحب في الإسلام «**فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله ؟ وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله ؟**» أي أن هؤلاء من باب أولى أن لا يدخل في الإسلام ولا يكون من أهل الإسلام ، بل لا

يكون المرء من أهل الإسلام إلا إذا أخلص الحب – حب العبودية والذل – لله سبحانه وتعالى وحده ولم يجعل مع الله تبارك وتعالى شريكاً في شيء من ذلك .

ومنها : قوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» ، وهذا من أعظم ما يبين معنى «لا إله إلا الله» ، فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرُم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يحرُم ماله ولا دمه . فيا لها من مسألة ما أجلَّها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجةٍ ما أقطعها للمنازِع .

****

قوله «**ومنها**» أي النصوص المفسرة للا إله إلا الله والمبينة لمعناها «**قول النبي صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**» ؛ نبَّه رحمه الله في هذه المسائل عظم هذا الحديث وجلالة قدره في بيان كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، ومتى تكون نافعة لقائلها، وأنها لا تنفع قائلها بمجرد النطق بها ، ولا أيضاً بمجرد فهم معناها ، ولا أيضاً بمجرد وجود العبادة من قائلها لله سبحانه وتعالى؛ بل لابد من هذا الأمر الذي ذُكر في الحديث وهو «الكفر بما يعبد من دون الله» كما في الآية المشار إليها التي تلي آية الكرسي ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي : لا يكون مستمسكاً بلا إله إلا الله إلا بهذا الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن لم يكفر بما يُعبد من دون الله لا يكون من أهل لا إله إلا الله وإن قالها وإن كررها آلاف المرات حتى يقع منه هذا الكفر والبراءة مما يعبد من دون الله تبارك وتعالى ؛ قال : «بل لا يحرُم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله».

«فإن شك أو توقف أو تردد» مثل يقول هؤلاء أولياء لعل لهم نصيب من هذا ولهم مكانة عند الله ما الذي يمنع أنه يُدعى مثلاً ؟ أو أنه مثلا شاة واحدة تُذبح له ؟ أو مثلاً قربة واحدة يتقرب بها له ما الذي يمنع من ذلك؟ إذا توقف في هذا الأمر أو تردد أو شك لا يكون من أهل لا إله إلا الله ، لابد أن يتبرأ من كل ما يعبد من دون الله .

«وكفر بما يعبد من دون الله» أيا كان لأن العبادة حق لله وحده سبحانه وتعالى ؛ فإذاً لا يكون من أهل لا إله إلا الله عندما ينطق بها ويتلفظ بها ويصلي ويصوم إلى غير ذلك ثم مثلاً يتوقف فيمن يُعبدون أو في بعض من يُعبدون من دون الله من ملَك أو نبي أو ولي أو غير ذلك ، يقول مثلاً : أنا ما أقول شيء احتمال يكون مثلا ربما ، إذا وجد عنده شك أو تردد لا يكون من أهل لا إله إلا الله ، يكون من أهل لا إله إلا الله : بالكفر بما يعبد من دون الله مثل ما قال الله : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ ، أما من يشك ؛ يجد من يسجد لغير الله أو ينذر لغير الله أو يذبح لغير الله ويقول ربما أنَّ هذا تاعمل سائغ أو ربما صحيح ؛ لا يكون

بذلك من أهل لا إله إلا الله ، لابد من الكفر بما يُعبد من دون الله ، لا تنفعه صلاة ولا صيام ولا غير ذلك من الأعمال إلا بالكفر بما يُعبد من دون الله والبراءة من الشرك والخلوص منه؛ فبذلكم يكون من أهل «لا إله إلا الله».

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .